وطاف بالبيت سبعا وهي يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك
تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي
ذنوبي فاوحى الله اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان آدم لما اهبط الى الارض مكث ثلاث
مائة سنة لا يرفع راسه الى السماء حياء من الله تعالى وقيل اعطي ثلاثة اشياء الحياء والدعاء
والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم ياكلا ولم
يشربا اربعين يوما وقيل لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود اكثر منها حيث
اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت دموع آدم اكثر حيث اخرجه
من الجنة فتاب عليه اي تجاوز عنه وغفر له واصل التوبة الرجوع تاب يتوب ولا تحصل التوبة منه
الا بثلاثة امور علم وحال وعمل اما العلم فهو ان يعلم العبد ضرر الذنب ويعزم في المستقبل ان لا
يعود اليه وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تالم القلب بفوت ذلك فيحصل الندم وهو
الحال فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل ان لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة
امور حصلت التوبة وسياتي بسط هذا عند قوله توبوا الى الله توبة نصوحا في سورة التحريم ان
شاء الله تعالى انه هو التواب اي الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب في وصف الله سبحانه
وتعالى للمبالغة في قبول التوبة عن عباده الرحيم اي بخلقه ووصف سبحانه ونعت نفسه مع كونه توابا
بانه رحيم قلنا اهبطوا منها جميعا يعني هؤلاء الاربعة وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى
سماء الدنيا والهبوط الثاني من سماء الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال في الهبوط الاول
ولكم في الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه للتاكيد فاما ياتينكم
مني هدى فيه تنبيه على عظيم نعم الله على آدم وحواء كانه قال واذ اهبطتكم من الجنة الى
الارض فقد انعمت عليكم بما يعيدكم الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذي لا ينقطع
وقيل الخطاب لهم ولذريته آدم يعني بذلك ذريته آدم اما ياتينكم مني رشد وبيان وشريعة
وقيل كتاب ورسول فمن تبع هداي فلا خوف عليهم يعني فيما يستقبلهم ولا هم يحزنون
اي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة والذين كفروا اي جحدوا وكذبوا
بآياتنا اي بالقرآن اولئك اصحاب النار اي يوم القيامة هم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ولا
يموتون فيها قوله عز وجل يا بني اسرائيل اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن
اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم اجمعين ومعنى اسرا عبد وايل الله وقيل صفوة الله
والمعنى يا اولاد يعقوب اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي اشكروا نعمتي وانما عبر عنه
بالذكر لانه من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب
ويكون باللسان وحد النعمة انها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه
ان المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة
لانه لم يقصد بها الغير ثم ان النعم ثلاثة نعمة تفرد الله تعالى بها وهي ايجاد الانسان ورزقه
ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لان الله مكنه من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة
هو الله تعالى ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهي ايضا من الله تعالى فالله هو المنعم
المطلق في الحقيقة لان اصول النعم كلها منه واما النعم المختصة ببني اسرائيل فكثيرة لان
قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم التي انعم بها عليهم ان نجاهم من فرعون
وفلق البحر لهم واغرق فرعون وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى في التيه عليهم وانزال
التوراة في نعم غير هذا كثيرة فان قلت اذا قصرت النعمة بهؤلاء فكيف كانت على
المخاطبين فانها كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها قلت

انما ذكر

١٨

انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الآباء فخر للابناء ولان الابناء اذا انتفعوا ان الله انعم على آبائهم
بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه النعمة هي ادراك المخاطبين
زمان محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان بها واوفوا بعهدي اي امتثلوا امري اوف
بعهدكم اي بالقبول والثواب واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وقيل هو
الموثق الذي يلزم مراعاته عهدا وقيل اراد بالعهد جميع ما امر الله به من غير تخصيص ببعض
التكاليف دون بعض وقيل اراد به ما ذكر في سورة المائدة وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله لاكفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله اوف بعهدكم
وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقيل اراد بهذا العهد ما اثبته
في كتب الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث في آخر الزمان وذلك
ان الله عهد الى بني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام اني باعث من بني اسماعيل نبيا اميا فمن
تبع النور الذي ياتي به غفرت له ذنوبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته واياي فارهبون
اي خافوني في نقضكم العهد وآمنوا بما انزلت يعني بالقرآن مصدقا لما معكم يعني ان القرآن موافق
لما في التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان في التوراة الاشارة الى نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وانه نبي مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما في التوراة ومن كفر به فقد كذب التوراة
ولا تكونوا اول كافر به الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى فلا تكونوا
يا معشر اليهود اول من كفر به فان قلت كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به
مشركو العرب من اهل مكة وغيرهم قلت هذا تعريض بهم والمعنى كان يجب ان تكونوا اول من آمن
به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان امر
اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوؤا
بالحكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك ولا تشتروا اي ولا تستبدلوا بآياتي اي ببيان صفة
محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة ثمنا قليلا اي عرضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة
الى الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذي كانوا ياخذونه من الدنيا كالشيء اليسير
بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل ولهذا قال الله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وذلك
ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون الماكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا
ياخذون منهم في كل سنة شيئا معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم وخافوا
ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويتبعوه ان تفوتهم تلك الماكل فغيروا نعته وكتموا
اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة واصروا الكفر واياي فاتقون اي فخافوني في امر محمد صلى الله
عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب
والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف قوله عز وجل ولا تلبسوا الحق بالباطل اي ولا تكتبوا
في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي انزل
عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة بالباطل اي بصفة الدجال وذلك انه الذي
تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل
اي بصفة الدجال وذلك لانه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس
هو الذي ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعنون الدجال وكذبوا فيما قالوا وتكتمون الحق وانتم
تعلمون يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم تغيروه وانتم تعلمون يعني ان محمدا النبي مرسل

Copyright © King Saud University